

دلائل الإعجاز

كذا فقد استكمل الفضل وبلغ أقصى ما يُراد .

واعلم أننا وإن كنا إذا اتبعنا العُرفَ والعادة وما يهجرُ في الصِّمير وما عليه العامة أَرانا ذلك أن الصِّوابَ معهم وأن التَّعويلَ ينبغي أن يكونَ على المعنى وأنه الذي لا يسوغُ القولُ بخلافه فإنَّ الأمرَ بالضدِّ إذا جئنا إلى الحقائق وإلى ما عليه المحصِّلون لأننا لم نرى متقدِّماً في علمِ البلاغة مبرِّراً في شأونها إلا وهو يُنكر هذا الرأيَ ويَعيبُه ويُزري على القائل به ويغصُّ منه . فمن ذلك ما رُوِيَ عن البحتريِّ : رُوِيَ أنَّ عُبَيْدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بنَ طاهرٍ سأله عن مسلمٍ وأبي نواسٍ أيُّهُما أشعرُ فقال : أبو نواس . فقال : إنَّ أبا العباسِ ثَعْلَباً لا يوافقُك على هذا . فقال : ليس هذا من شأنِ ثعلبٍ وذويه مِن المُتعاطينَ لعلِّمَ الشعرَ دونَ عملِهِ إنما يَعلمُ ذلك مَنْ دُفِعَ في سَلَكِ طريقِ الشعرِ إلى مَضايقه وانتهى إلى ضَروراتِهِ . وعن بعضهم أنه قال : رأني البحتري ومعي دفترُ شعريِّ فقال : ما هذا فقُلْتُ : شعريَّ الشَّنفري . فقال : وإلى أينَ تَمضي فقلتُ : إلى أبي العباسِ أقرؤه عليه . فقال : قد رأيتُ أبا عَبَّاسِكُم هذا منذُ أيام عندَ ابنِ ثَوَابَةِ فما رأيتهُ ناقدًا للشعرِ ولا مُميزاً للألفاظِ ورأيتُهُ يستجيدُ شيئاً وينشده وما هو بأفضلَ الشرعِ . فقلتُ له : أمّا نقدُهُ وتمييزُهُ فهذه صناعةُ أُخْرَى ولكنَّه أعرَفُ الناسِ بِإِعرابهِ وغريبهِ . فما كان يُنشدُّ قالَ : قولَ الحارثِ بنِ وَهْلَةَ - الكامل - :